

— اللغة العامية واللغة الفصحى —

(تابع لما قبل)

بقي ان اللغة فضلاً عما رَهَقَها من العجز عن مجازاة لغات العصر بسبب ما ذُكر من تبدل شؤون الحضارة وما نشأ في الاعصر الاخيرة من المخترعات والمكتشفات فان الذي وصل الينا منها والذي تجري به سنتنا واقلامنا ليس الا جانباً يسيراً من مبتدئها وعاميتها لا يكاد يفي بالتعبير عن اغراضنا الطبيعية ولا يتأتى به تمثيل كثير من الخواطر والمعاني الدقيقة . وبعبارة اخرى فانه لم يصلنا من الفاظها الا ما يدل على اجناس المعاني دون ما تحتها من التفاصيل وما يُنحى بها من الاعتبارات المختلفة بحيث لو جمعت تلك الالفاظ في معجم لم تبلغ ربع ما تكلمت به العرب وبالتالي فانها بعض لغة لالفة . ولانني بما فاتنا منها الالفاظ المترادفة كاسماء السيف والاسد وغيرها مما يعبر به عن المسمى الواحد بمئات من الالفاظ ولا ما يتعلق بالاحوال البدوية من نحو وصف الابل والخيام وما اشبه ذلك ولكن هناك الفاظاً وتراكيب مما نفتقر اليه كل يوم في مخاطباتنا ومكاتباتنا حتى ان الكاتب كثيراً ما يعوزه اللفظ لاوسع المعاني شيوعاً وابدها اغراضاً مما لا شك ان العرب وضعت وتكلمت به ولكنه تنوسي لبعده العهد بالفصيح وزوال صناعة القلم من بيننا ادهاراً طوالاً . ولذلك كثيراً ما ترى الكاتب منا يعبر عن الشيء بغير لفظه وربما اخطأ اللفظ بته فلم يجد ما يعبر به وهذا هو السبب في انك ترى بعض كتابنا ممن قلّ رأس ما لهم من اللغة يرمونها بالقصور ويميلون الى استبدال العامي من الفصيح على ما هو رأي القاضي ولمور وحزبه ذهاباً الى ان العامي

اوسع مذهباً وأطوع للتعبير عن وجوه المعاني المختلفة . ولو وقفوا الى استقرأ
كلام العرب والوقوف على ما كان لهم من سمة التصرف في ابراز المعاني على
اختلاف مناحيها وتباين ألوانها لعلموا ان القصور من جهتنا لا من جهة اللغة
وانها فيما خلا الاوضاع المحدثه لا تعجز عن تمثيل معنى من المعاني مهما
اختلفت صورته بل هي في ذلك على ما لا تضارعها فيه لغة من لغات الارض
على الاطلاق

لا جرم ان من طالع كتب الاوائل وتفقد معجمات اللغة يجد ما لا
يُحصى من الالفاظ والتراكيب التي نشعر بأشد الحاجة اليها ولا نجد في لغة
الكتابة الحالية ولا في اللغة العامية ما يرادفها او يُغني عنها . الا ان العثر
على تلك الالفاظ والوصول منها الى القدر الكافل بالغناء يقتضي فراغاً طويلاً
ودرساً متواصلاً وليس ذلك في طوق كل احد ان يفعله فضلاً عن ان مثل
هذا القدر لا يمكن ان يرسخ في المحفوظ لكثرة وقلة تداوله في الاستعمال
اذ هو مقصور على الكتابة دون الحديث . ولهذا كان من امس حاجتنا
جمع اكثر الالفاظ دورانياً في كتاب يضعها بحيث يجد الطالب ضالته منها على
غير كلفة ولا عناء وهذا انما يتم بان توزع الالفاظ على اجناس المعاني فيذكر
لكل معنى القالب الذي يعبر به عنه وهو الترتيب الذي جرى عليه صاحب
الالفاظ الكتابية . الا ان هذا الكتاب مع اقتصاره على بعض الاغراض
دون بعض ومع قصر فصوله احياناً الى ما لا يشفي الطالب فقد كان من
سوء الطالع ان النسخة التي اشتهرت منه وهي التي طبعها جماعة اليسوعيين
في بيروت جاءت على اسوأ حال من التحريف والتصحيف والزيادة

والنقصان حتى عددنا فيها نحو ٩٠٠ غلطة مع ان الكتاب لا يتجاوز ٣٠٠ صفحة صغيرة كما سبق لنا الايمآء الى ذلك في بعض اجزاء البيان وقد نهينا على بعض هذه الاغلاط في مواضع من الضيآء مما تكفي مراجعته لمعرفة ما صار اليه هذا الكتاب^(١) . وكنا قد عمدنا الى تصحيح هذه النسخة على ان نعيد طبعها منقحة خدمة للطلاب ولكننا رأينا بعد التصحيح انها قد بعدت كثيراً عن الصورة التي طبعت عليها ولا بد ان تكون قد بعدت كذلك عن اصل التأليف فأهملناها وشرعنا في وضع كتاب آخر ضمناه ما شاء الله من الاغراض فجآء فيما يقدر بألف صفحة أو ما يقرب منها غير اننا بعد ما شرعنا في طبعه فيض له سبب من وراء الغيب ذهب الكتاب بحريته فراح فريسة التهوّر والطيش ثم عرض لنا من الشؤون ما اوجب توقفنا عن معاودة الاهتمام به وسنستخير الله في اعادة طبعه اجابة للراغبين وعلى الله الاتكال^(٢)

(١) بشرتنا مجلة المشرق في هذه الايام بأن مصحح هذا الكتاب الاب لويس شيخو قد وقف على نسخ اخرى منه وفي نيته ان يعيد طبعه على طريقة عامية (؟) مع الاشارة الى كل نسخة بعلامات اصطلاحية كما يفعل العلماء المستشرقون فمعدنا بالكلام على النسخة الجديدة حين ظهورها ولعل التسع منه تصير بركة حضرة الاب ١٥٠٠

(٢) كان من امر هذا الكتاب اننا بعد ان طبعنا نحو ربعة في المطبعة الادبية في بيروت عرض لنا السفر الى الديار الاوربية فينا نحن في باريز وردنا الخبر بأن المطبعة قد احترقت او اُحرقت لسبب لا نذكره وكان فيها الف وخمس مئة نسخة منه ذهبت بأسرها طعمة النار . فلما القينا المصاحفة الديار هممنا باستئناف طبع الكتاب ولكن رأينا ان الكتب هنا والمدارس والمعلمين وطرق التعاليم كل ذلك محتكر لنظارة المعارف تحت طاع ما يسمى بالكلوريا فتوقفنا عن الطبع الى ان نجد سبيلاً الى احصآء هذا الكتاب في جملة الكتب المقررة لمدارس النظارة لأننا وجدنا اننا اذا

نقول أخيراً أنه لم يمر بهذه اللغة عهدٌ هي فيه أخرج موقفاً من عهدها الحالي فانها قائمة بين خطرين عظيمين أحدهما ما طفق عليها من جانب العالم الغربي من الوف الاوضاع والمصطلحات التي لا غنى لنا عن استعمالها واللغة خلوت منها والثاني ما نرى من تضافر العناصر على نفس دعائها

اعتمدنا فيه على من عندنا من الادباء والكتاب انحصرت الفائدة التي نتوخاها منه في نفي معدود ولم يكن في ريعه ما يستد نفقاته . وكان قد بقي عندنا نسخة من المطبوع فرفعناها الى سعادة الناظر وذاكرناه في الامر فأصبنا منه ارتياحاً الى تليتها وكلفنا ان نكتب شرحاً نلين فيه مضمون الكتاب ففعلنا ورفعنا اليه عرضاً بهذه الصورة

الى جانب نظارة المعارف المصرية الجليلة

المعروض انه لما كانت في هذه الايام قد راجت صناعة القلم بين عامة المتأدين بأداب لغتنا العربية وهبت الرغبة في النفوس لتحديث الكلام الفصيح والنسج على منوال المتقدمين من كتاب هذه الامة وكان ذلك لا يتسنى الا باستظهار الفاظهم واستحضار صور اساليبهم وهو ما لا يتيسر الاستيلاء عليه الا بعد ادمان الجهد وقضاء الازمنة الطوال حتتني الرغبة في تقريب ذلك على روائمه ان اجمع من تراكب الفصحاء وناصر الفاظهم في كل ضرب من ضروب المعاني والاغراض المتداولة ما يكون مورداً لأقلام المنشئين والمعرّبين بحيث يجسد الطالب في كل واحد من تلك الاغراض عدّة قوالب مترادفة المعاني متباينة الاسلوب يختار منها ما يوافق اربه ويلأثم ذوقه على غير جهدٍ للروية ولا عناء في البحث

وقد نسقت ما جمعت من ذلك في ابواب وفصول يرجع اليها في الطلب تتبعت فيها احوال الانسان وما يعتبر فيه من الصفات ويعرض له من الشؤون ورتبت تلك الاحوال على اعتبارين أحدهما ما يتعلق بالانسان في خاصة نفسه فيدخل فيه وصف فطرته واخلاقه وما يعرض له من الاحوال الطبيعية والانفعالات النفسانية وما يرجع اليه من نسب ويتصف به من علم وادب الى ما يلحق بذلك ويتفرع عنه والثاني ما يضاف اليه باعتبار وجوده في الحال الاجتماعي ومخالطته للامور الخارجية في اثناء نصرته وكسبه فيندرج في ذلك تفصيل ما يقع له من الاحوال والافعال في ضروب

ودرس معالمها مع ما ألمَّ بأصحابها من الغفلة والذهول حتى ذهب أكثر قديميها فضلاً عن عدم أحداث جديد فيها. ومن أنكد ما منيت به أن العارف من أصحابها قد ضرب الاملاق على يده فهو قصير الباع أشل الساعد والمثري لا يهمة امر اللغة ولا الامة فهو في وادٍ والعلم وذووه في وادٍ

المعاملات والمعاملات ووصف ما يجده في مزاوله الامور ومعالجة الاشياء وذكر ما يتظم به حال مجتمعه من السياسة والقضاء وما ينضم الى ذلك من تفصيل احوال الملك والحامية والجند ووصف ما يسعه من مسكن يأوي اليه وبلد يضرب فيه وجو يكتنفه الى ما يتصل بهذه الاطراف وختمته بذكر الاحوال الاخروية والتهيو لها وما ارصد له فيها من ثواب وعقاب

وقد قرن كل غرض من هذه الاغراض بضده تسهيلاً للطلب واختصاراً من تعداد الفصول فذكرت البخل مثلاً في باب الجود والحين في باب الشجاعة وكذا الكذب مع الصدق والهزل مع الجد والجور مع العدل والبعده مع القرب والهدم مع البناء وهلمَّ جراً في كل ما احتمل ذلك

اما حجم الكتاب فيبلغ نحواً من الف صفحة ستصدر في ثلاثة اجزاء تطبع بالشكل الصرفي واللغوي مع تفسير الغريب باصح تعاريفه اخذاً عن اوثق كتب اللغة واشهرها بحيث لا يكون للمطالع ادنى ريب في الاعتماد عليه

ولما كانت مدارس حكومتنا السنوية خالياً برناجها عن كتاب من هذا النوع على شدة لزمومه واقتتار المتعلمين اليه رأيت ان اعرض نموذجاً منه على هذه النظارة الجليلة لتتظر فيه حتى اذا وجدته موافقاً للغرض من انشاء تلك المدارس مهيباً لأن يشفع العلم بالعمل من اقرب سبيل وموصلاً لاطهار ثمرة التدريس فيها باوضح جلاء اصدرت قرارها بجعله من الكتب الرسمية فيها ولها في ذلك رأيها الموفق ان شاء الله تعالى

ثم اني بالاشتراك مع رصيفي حضرة الدكتور بشارة افندي زلزل ارفع الى مقام النظارة الجليلة الجزئين الاولين من مجلة البيان التي شرعنا في اصدارها في هذه العاصمة وهي مجلة علمية ادبية طيبة صناعية تتضمن اهم المباحث في الابواب المشار اليها مع ذكر كل ما يحدث في عالمي العلم والصناعة من الاختراعات والاكتشافات مما تحتمله حالة العلم

على ان ما نحن فيه اليوم ايس بأول عاصف هب على هذه اللغة فوقفت منه موقف السفينة من التيار فقد عبرت في مثله ايام انتقل ذووها من ظلال المضارب الى اكنان القصور وغادروا مسارح البادية الى شوارع المدن ولكنهم كانوا قوماً اهل حزم وبقطة عارفين بقدر لغتهم حرصاً على روابط

في هذا القطر وقد فسحنا فيها موضعاً للمباحث اللغوية نورد فيه ما يتفق لنا الظفر به من آثار السلف ونحيي ما للدرس من الفاظ هذه اللغة الثريفة ومصطلحاتها العلمية والصناعية مع بذل الجهد في وضع ما خلت اسفارها عنه من الالفاظ العصرية التي حدثت معانيها بعد الواضحين نذرنا الى اتمام اللغة والحقها بسائر اللغات المعاصرة

ولا يخفى ما في هذه المطالب كلها من الفائدة والتبصرة للدارسين بما ينشأ عنها من ارهاق اذهانهم بالباحث العلمية والفلسفية والادبية واكسابهم ملكة التعبير على الاسلوب الصحيح فضلاً عما هناك من المسائل المتعلقة باللغة على خصوصها مما لا يكاد يخلو جزء من اجزائها عن شيء منه

فترجو التفضل بالنظر فيها ايضاً مع الرسم بما يحسن وعلى جميع الاحوال فالامر لوليه

القاهرة في ٢١ ابريل سنة ١٨٩٧

وهضت على ذلك الايام ودرجت الاسابيع ونحش في انتظار الجواب ثم علمنا ان ان الامر موقوف على ما يرثيه حضرة « مفتش اول اللغة العربية » وكان في تلك المدة متعباً في بعض نواحي القطر وبعد ان اتى على ملتبسنا نحو شهرين ونصف وردنا الجواب بهذه الصورة

حضرة المحترم ابراهيم افندي اليازجي

ان كتاب المترادفات والعديد من مجلة البيان المدمين من حضرتكم بمكانية في ٢١ ابريل سنة ١٨٩٧ الجميع حسن في بابه عنوان على فضل مؤلفه غير ان في الكتب المقررة للمدارس ما فيه غنا للتلاميذة واقتضى تحريره ل حضرتكم للمعلومية ومعه الملازم والاعداد المذكورة

في محرم سنة ١٣١٥	توبه سنة ١٨٩٧	محل الختم
٣ صفر سنة ١٣١٥	٣ يوليه سنة ٩٧	يعقوب ارتين

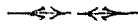
جامعتهم فقام امثال الامام عليّ وأبي الأسود الدؤليّ والخليل بن احمد وغيرهم وتداركوا امر اللغة من السقوط ثم جاء من بعدهم فعرّبوا كتب اليونان والفرس وغيرهم ووضعوا ما لا يحصى من الالفاظ المستحدثة في العلم والصناعة وغيرهما مما لا تزال آثاره في كتبهم ناطقة بفضلهم . فأين منا اليوم تلك الهمم وعلى من نعول في ادراك هذه الخطّة البعيدة والذين نرجوهم لها على ما وصفنا

جملة الامر أن اللغة اليوم واقفة على مفصل طريقين لا محيد لها عن

فشكرنا النظارة المشار اليها على ما تفضلت به علينا من التّناء ولم يسمعنا الامعذرتها في الاستغناء عن الكتاب اذ اسنا عليها بمسيطرين غير انه لم يزل في النفس شيء من معرفة الكتاب المقرر للمدارس في هذا الغرض لعلنا اذا وقفنا عليه نجد نحن ايضاً ما يغنيننا عن تجشّم عناء التأليف ونفقات الطبع حتى انظرنا الطلب بل الصبر بالضالة المنشودة لان الكتاب لم يبرز الا في هذه الايام ٠٠٠٠٠ فوجدنا ما استوقفنا بين الحيرة والفكر . لانا وجدنا هناك كراسة لا تتجاوز ٦٢ صفحة جاء في عنوانها ما نصه ٠ « قررت نظارة المعارف العمومية طبع هذا الكتاب واستعماله » بالمدارس « الثانوية بعد ان » نظره « فضيلتو حضرة العلامة الفاضل الاستاذ الشيخ حمزة فتح الله مفتش (اول) اللغة العربية بالمدارس » و « أقر » على طبعه ٠ « وجاء في ختامها العبارة الآتية ٠ « قد تلوت هذا الكتاب واكملته تصحيحاً وضبطاً لمفرداته اللغوية عراضاً على امهات الكتب فجاء بحمده تعالى صحيح المبني والمعنى وقلمنا يوجد ذلك في اضراجه من الكتب المؤلفة في باب (كذا) وفرغت منه في اواسط جمادى الآخرة سنة ١٣١٨ — ١١ أكتوبر سنة ١٩٠٠ كتبه الفقير اليه عز شأنه حمزة فتح الله اه

وانما ذكرنا هذا كله ليكون عبرة لقوم يتفكرون وليعلم منه الداء الذي اوهن جسم الامة وحلّ اعصاب الجامعة الوطنية وسنوافي القراء بما يبدو لنا من الكلام على هذا التأليف والله المسؤول ان ينير بصائرنا ولا يجعل بيننا وبين الحق حجاباً حتى لا نكون ممن ضاع الحق بينهم ٠٠٠ والسلام

سلوك واحدٍ منهما فإمّا ان تحيا وتستعيد ماضي شبابها حتى تكون كاحدى لغات اهل العصر واما ان يُسَجَّل عليها بموت لا حياة بعده ولا مبعث منه . وكلا الامرين منوطٌ بالامة معقودٌ بهممها وسخاؤها فان وُجد في خاصتها وعلمائها من ينتدب لامسك هذا الرمق الباقي منها وفي حكومتها أو في ذوي الوجاهة واليسار منها من يشدّ ساعدهم في ذلك والافليؤنّها ذَوُوها من اليوم بما دام فيهم فصيحٌ يحسن تأييدها ثم ليؤنّبوا الامة على اثرها فلا بقاء لامة بدون لغتها ولله البقاء وهو سبحانه مُقلّب الليل والنهار وفي يده ازمة الامور



—o— زنجبار —o—

بقلم حضرة الكاتب ديمتري افندي نقولا صاحب مجلة الفكاهة
عن كتاب له تحت الطبع
(تابع لما قبل)

اما عوائدهم في الاعراس فاذا اراد شخص ان يتخذ له زوجة يرسل احدى قرائبه الى بيت العروس التي صمم على خطبتها فتتظرها وتتفحص عن احوالها فاذا رجعت ووصفت له حسناتها وجمالها وراقت له يرسل والده او عمه او احد اقربائه ليخطبها له من والدها او عمها او ولي امرها وفي الوقت نفسه تذهب النساء من قرائب الرجل الى والده او عمه العروس لخطبتها ايضاً ويقرّر الصداق . وهو على درجات فبنات الامراء صداقهن ١٠٠٠ ريال وبنات الاعيان ٥٠٠ ريال وبنات المتوسطين من ٢٠٠ الى ١٠٠ ريال هذا اذا قبل الخاطب من اهل المخطوبة (من غير علم العروس نفسها)